

بهذا ما وصفه من قوله: ولا تحسبن إلى قوله: سريع الحساب ﴿ولينذروا﴾ مطوف على محذوف أي: لينصروا ولينذروا ﴿به﴾ بهذا البلاغ، وقرئ: ولينذروا بفتح الياء من نذر به إذا علمه واستعمله ﴿وليعلموا إنما هو إله واحد﴾ لأنهم إذا خافوا ما أذروا به دعوتهم المخافة إلى النظر حتى يتوصلوا إلى التوحيد؛ لأن خشية أم الخير كله.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة إبراهيم أعطي من الأجر عشر حسنات، بعدد كل من عبد الأصنام وعدد من لم يعبد»<sup>(4)</sup>.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### سورة الحجر مكية

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾

﴿تلك﴾ إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات. والكتاب والقرآن المبين السورة، وتذكير القرآن للتفخيم، والمعنى: تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتاباً وآي قرآن مبين، كأنه قيل: الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان.

زَيْنًا يُودُّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ كَانُوا مُتَسَلِّمِينَ ﴿٢﴾

قرئ: ربما وربتما بالتشديد وربما بالضم والفتح مع التخفيف.

فَإِنْ قُلْتَ: لم دخلت على المضارع وقد أبوا دخولها إلا على الماضي؟ قُلْتُ: لأن المترقب في إخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكانه قيل: ربما ودَّ.

فَإِنْ قُلْتَ: متى تكون ودادتهم؟ قُلْتُ: عند الموت، أو يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين، وقيل: إذا رأوا المسلمين يخرجون من النار، وهذا أيضاً باب من الودادة.

فَإِنْ قُلْتَ<sup>(5)</sup>: فما معنى التقليل؟ قُلْتُ: هو وارد على مذهب العرب في قولهم: لعلك ستندم على فعلك، وربما ندم الإنسان على ما فعل، ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون

قرنت أيديهم إلى أرجلهم مغللين وقوله: ﴿في الأصفاد﴾ إما أن: يتعلق بمقرنين أي: يقرون في الأصفاد، وإما أن لا يتعلق به، فيكون المعنى مقرنين مصفدين، والأصفاد: القيود، وقيل: الأغلال، وأنشد لسلامة بن جندل:

سَرَابُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَنْتَنُ وَجُوهَهُمْ أُنَّارٌ ﴿٥٠﴾

القطران فيه ثلاث لغات: قطران، وقطران، وفتح القاف وكسرها مع سكن الطاء وهو: ما يتحلب من شجر يسمى: الأبهل فيطبخ فتهدأ به الإبل الجري، فيحرق الجرب بحره وحدته والجلد وقد تبلغ حرارته الجوف، ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار، وقد يستسرح به، وهو أسود اللون منتن الريح، فتطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي: القمص، لتجتمع عليهم الأربع: لذع القطران، وحرقته، وإسراع النار في جلودهم، واللون الوحش، وتنتن الريح، على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين، وكل ما وعده الله أو أوعده به في الآخرة فيبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره، وكأنه ما عنينا منه إلا الآسامي والمسميات ثمة، فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه، ونسأله التوفيق فيما ينجزنا من عذابه، وقرئ: من قطران والقطر: النحاس أو الصفر المذاب والآتي المتناهي حرجه ﴿وتغشى وجوههم النار﴾ كقوله تعالى: ﴿فمن يتقى بوجهه سوء العذاب﴾<sup>(1)</sup> ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم﴾<sup>(2)</sup> لأن الوجه أعز موضع في ظاهر البدن وأشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال: ﴿تطلع على الأفتدة﴾<sup>(3)</sup> وقرئ: وتغشى وجوههم بمعنى: تغشى. أي: يفعل بالمجرمين ما يفعل.

يَجِيءُ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾

﴿ليجزى الله كل نفس﴾ مجرمة ﴿ما كسبت﴾ أو كل نفس من مجرمة ومطبعة، لأنه إذا عاقب المجرمين لإجرامهم علم أنه يثيب المطيعين لطاعتهم.

مَدًّا بَلَغَ لَنَايَسٍ وَرُسُدًا يُرَىٰ وَإِلَهُهُ رُجْدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءَ ﴿٥٢﴾

﴿هذا بلاغ للناس﴾ كفاية في التذكير والموعظة يعني:

= نكره الزمخشري أنفأ، من التنبيه بالأنى على الأعلى، ومنهم من وجهه بأن المقصود في ذلك: الإيذان بأن المعنى قد بلغ الغاية، حتى كاد أن يرجع إلى الضد، وذلك شأن كل ما انتهى لنهايته، أن يعود إلى عكسه، وقد أنصح أبو الطيب ذلك بقوله:

ولجبت حتى كدت تبخل حائلاً للمنتهى ومن السرور بكاء وكلا هذين الوجهين، يحمل الكلام على المبالغة بنوع من الإيقاظ إليها، والعمدة في ذلك على سياق الكلام: لأنه إذا اقتضى مثلاً كثيراً، دخلت فيه عبارة يشعر ظاهرها بالتقليل، استيقظ السامع بأن المراد: المبالغة على إحدى الطريقتين المذكورتين، والله أعلم.

(1) سورة الزمر، الآية: 24.  
(2) سورة القمر، الآية: 48.  
(3) سورة الهمة، الآية: 7.  
(4) نكره ابن مردويه والواحدي نكره (الزليعي 205/2).  
(5) قال أحمد: لا شك أن العرب تعبر عن المعنى، بما يؤدي عكس مقصوده كثيراً، ومنه قوله:

قد أترك القرن مصفراً أنامله

وإنما يمتدح بالإكثار من ذلك، وقد عبر بقدر المفيدة للتقليل، ومنه والله أعلم، وقد تعلمون أنني رسول الله، والمقصود: توبيخهم على آذاهم لموسى عليه السلام، على توفير علمهم برسالته، ومناصحته لهم، وقد اختلف توجيه علماء البيان لذلك، فمنهم من وجهه بما =

وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾

قرأ الأعمش يا أيها الذي الذي الي على النكر، وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون: ﴿إِن رَسولُكَ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْكَ لِمَجْنونٍ﴾<sup>(2)</sup> وكيف يقرون بنزول النكر عليه وينسبونه إلى الجنون، والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهمك مذهب واسع، وقد جاء في كتاب الله في مواضع منها، ﴿فبشرهم بعذاب اليم﴾<sup>(3)</sup> ﴿إنك لانت الحليم الرشيد﴾<sup>(4)</sup> وقد يوجد كثيراً في كلام العجم والمعنى: إنك لتقول قول المجانين حين تدعي أن الله نزل عليك النكر.

أَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾

لو ركبت مع لا وما لمعنيين، معنى: امتناع الشيء لوجود غيره، ومعنى: التحضيض، وأما هل فلم تركب إلا مع لا وحدها للتحضيض. قال ابن مقبل:  
لوما الحياء ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما إذ عبتما عوري  
والمعنى: هلا تاتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضونك على إنذارك كقوله تعالى: ﴿لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً﴾<sup>(5)</sup> أو هلا تاتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك إن كنت صادقاً كما كنت تأتي الأمم المكذبة برسلاها.

مَا نَزَّلَ الْمَلَكِ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنظَرِينَ ﴿٨﴾

قرئ: تنزل بمعنى: تنزل وتنزل على البناء للمفعول من نزل وتنزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة ﴿إلا بالحق﴾ إلا تنزلاً ملتبساً بالحكمة والمصلحة، ولا حكمة في أن تأتيكم عياناً تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي ﷺ، لأنكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾<sup>(6)</sup> وقيل: الحق الوحي أو العذاب و ﴿إذاً﴾ جواب وجزاء: لأنه جواب لهم، وجزاء لشروط مقدر تقديره: ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما آخر عذابهم.

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾

﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾<sup>(7)</sup> رد لإنكارهم واستهزائهم في قولهم: ﴿يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾<sup>(8)</sup> ولذلك قال: ﴿إنا نحن﴾ فكأن عليهم أنه هو المنزل على القطع والبتات، وأنه هو الذي بعث به جبريل إلى محمد ﷺ وبين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظاً من الشياطين، وهو حافظ في كل وقت من كل زيادة ونقصان

تقليله، ولكنهم أرادوا لو كان الندم مشكوراً فيه أو كان قليلاً لحق عليك أن لا تفعل هذا الفعل: لأن العقلاء يتحزون من التعرض للغم المظنون كما يتحزون من المتيقن، ومن القليل منه كما من الكثير، وكذلك المعنى في الآية: لو كانوا يوبون الإسلام مرة واحدة فبالحري أن يسارعوا إليه، فكيف وهم يودونه في كل ساعة ﴿لو كانوا مسلمين﴾ حكاية ودانتهم، وإنما جاء بها على لفظ الغيبة لأنهم مخبر عنهم كقولك: حلف بالله ليفعلن، ولو قيل: حلف بالله لأفعلن، ولو كنا مسلمين لكان حسناً سديداً، وقيل: تدهشهم أهوال ذلك اليوم فييقنون مبهوتين، فإن حانت منهم إفاقة في بعض الأوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل.

ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَسْتَعْمُوا وَيَلْبَسُوا بِمَأْمُونَ ﴿١٠﴾

﴿ذرهم﴾ يعني: اقطع طمعك من اروعائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالنكرة والنصيحة وخلصهم ﴿ياكلوا ويمتعدوا﴾ بدياهم وتنفيذ شهواتهم، ويشغلهم أملمهم وتوقعهم لطول الأعمار واستقامة الأحوال وأن لا يلقوا في العقاب إلا خيراً ﴿فسوف يعلمون﴾ سوء صنيعهم، والغرض الإيدان بأنهم من أهل الخذلان، وأنهم لا يجيء منهم إلا ما هم فيه، وأنه لا زاجر لهم ولا واعظ إلا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ، ولا سبيل إلى اتعاضهم قبل ذلك، فأمر رسوله بأن يخليهم وشأنهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته، وأن يبالغ في تخليتهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم إلا ندماً في العقاب، وفيه إلزام للحجة ومبالغة في الإنذار وإعذار فيه، وفيه تنبيه على أن إيثار التلذذ والتنعيم وما يؤدي إليه طول الأمل، وهذه هجيري أكثر الناس ليس من أخلاق المؤمنين، وعن بعضهم: التمرغ في الدنيا من أخلاق الهالكين.

وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَهِيَ كَأَنَّهَا مَعْلُومٌ ﴿١١﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعْرُونَ ﴿١٢﴾

﴿ولها كتاب﴾ جملة واقعة صفة لقرية، والقياس أن لا يتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى: ﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون﴾<sup>(1)</sup> وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال: جاءني زيد عليه ثوب، وجاءني وعليه ثوب كتاب ﴿معلوم﴾ مكتوب معلوم، وهو: أجلها الذي كتب في اللوح وبين، ألا ترى إلى قوله ﴿ما تسبق من أمة أجلها﴾ في موضع كتابها وأنت الأمة أولاً ثم نكرها آخرًا حملاً على اللفظ والمعنى، وقال: ﴿وما يستأخرون﴾ بحذف عنه؛ لأنه معلوم.

(7) قال أحمد: ويحتمل أن يراد: حفظه مما يشينه، من تناقض واختلاف لا يخلو عنه الكلام المقترن، ونلك أيضاً من اللبيل على أنه من عند الله، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾.

(8) سورة الحجر، الآية: 6.

(1) سورة الشعراء، الآية: 208.

(2) سورة الشعراء، الآية: 27.

(3) سورة آل عمران، الآية: 21.

(4) سورة هود، الآية: 87.

(5) سورة الفرقان، الآية: 7.

(6) سورة الحجر، الآية: 85.

إِنَّمَا سَكَّرَتْ أَبْصَرَنَا كُلَّ عَيْنٍ قَوْمٌ فَسُحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيزٍ ﴿١٧﴾.

قرئ: يعرجون بالضم والكسر و ﴿سكرت﴾ حيرت أو حبست من الأبصار من السكر، أو السكر، وقرئ: سكرت بالتخفيف أي: حبست كما يحسب النهر من الجري، وقرئ: سكرت من السكر أي: حارت كما يحار السكران، والمعنى: أن هؤلاء المشركين بلغ من غلومهم في العناد أن لو فتح لهم باب من أبواب السماء، ويسر لهم معراج يصعدون فيه إليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا: هو شيء نتخايله لا حقيقة له، ولقالوا: قد سحرنا محمد بذلك، وقيل: الضمير للملائكة أي: لو أريناهم الملائكة يصعدون في السماء عياناً لقالوا ذلك، ونكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون، وقال: إنما ليدل على أنهم يبتون القول بأن ذلك ليس إلا تسكيراً للأبصار.

إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَآتَاهُ صِهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَوْبُنَّا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَتَّوِّينٍ ﴿١٩﴾.

﴿من استرق﴾ في محل النصب على الاستثناء، وعن ابن عباس: أنهم كانوا لا يجيبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات، فلما ولد محمد منعوا من السموات كلها ﴿شهاب مبين﴾ ظاهر للمبصرين ﴿موزون﴾ وزن فيه زيادة ولا نقصان، أوله وزن وقد في أبواب النعمة والمنفعة، وقيل: ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها.

وَجَعَلْنَا لِكُلِّ فِيهَا مَعْيَشًا وَنَحْنُ لَكُمْ بِرِزْقِكُمْ ﴿٢٠﴾.

﴿معاش﴾ بياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث ونحوهما، فإن تصريح الياء فيها خطأ، والصواب الهمزة أو إخراج الياء بين بين، وقد قرئ: معاش بالهمز على التشبيه ﴿ومن لستم له برازقين﴾ عطف على معاش أو على محل لكم كانه قيل: وجعلنا لكم فيها معاش وجعلنا لكم من لستم له برازقين، أو وجعلنا لكم معاش ولمن لستم له برازقين وأراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون أنهم يرزقونهم ويخطئون، فإن الله هو الرزاق

وتحريف وتبديل، بخلاف الكتب المتقدمة فإنه لم يتول حفظها، وإنما استحفظها الربانيين والأحبار فاختلفوا فيما بينهم بغياً فكان التحريف، ولم يكل القرآن إلى غير حفظه.

فإن قلت: فحين كان قوله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ رداً لإنكارهم واستهزأتهم فكيف اتصل به قوله: ﴿وإنا له لحافظون﴾؟ قلت: قد جعل ذلك دليلاً على أنه منزل من عنده آية؛ لأنه لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواء، وقيل: الضمير في له لرسول الله ﷺ كقوله تعالى: ﴿وإله يعصمك﴾<sup>(١)</sup>.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴿٢١﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٢﴾.

﴿في شيع الأولين﴾ في فرقهم وطوائفهم، والشيع: الفرقة إذا اتفقوا على مذهب وطريقة، ومعنى أرسلناه فيهم: نبأناه فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم.

﴿وما يأتيتهم﴾ حكاية حال ماضية؛ لأن ما لا تدخل على مضارع إلا وهو في معنى الحال، ولا على ماض إلا وهو قريب من الحال.

كَذَلِكَ نَسَلُكُمْ فِي قُلُوبِ الْمَجْرِمِينَ ﴿٢٣﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾.

يقال: سلكت الخيط في الإبرة وأسلكته إذا أدخلته فيها ونظمتها، وقرئ: نسلكه والضمير للذكر أي: مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر في ﴿قلوب المجرمين﴾<sup>(٢)</sup> على معنى: أنه يلقيه في قلبهم مكنباً مستهزأ به غير مقبول، كما لو أنزلت بلقيم حاجة فلم يجبك إليها فقلت: كذلك أنزلها بالثام تعني: مثل هذا الإنزال أنزلها بهم مردودة غير مقضية، ومحل قوله: ﴿لا يؤمنون به﴾ النصب على الحال أي: غير مؤمن به، أو هو بيان لقوله: ﴿كذلك لنسلكه﴾ ﴿سنة الأولين﴾ طريقتهم التي سنها الله في إهلاكهم حين كذبوا برسولهم وبالذكر المنزل عليهم، وهو وعيد لأهل مكة على تكذيبهم.

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنْ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَهْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ لَقَالُوا

(1) سورة المائدة، الآية: 67.

(2) قال أحمد: والمراد والله أعلم: إقامة الحجة على المكذبين، بأن الله تعالى سلك القرآن في قلوبهم، وأدخله في سويدائهم، كما سلك ذلك في قلوب المؤمنين المصنفين، فكذب به هؤلاء، وصنق به هؤلاء، كل على علم وفهم، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة، ولئلا يكون للكفار على الله حجة، بأنهم فهموا وجوه الإعجاز كما فهمها من آمن، فأعلمهم الله تعالى من الآن وهم في مهلة، وإمكان أنهم ما كفروا إلا على علم، معاندين، باغين، غير معنورين، والله أعلم، ولذلك عقبه الله تعالى بقوله: ﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ أي: هؤلاء فهموا القرآن، =

= وعلموا وجوه إعجازه، وولج ذلك في قلوبهم وقر، ولكنهم قوم سجيتهم العناد، وشيتمهم اللدد، حتى لو سلك بهم أوضح السبيل وأدعاهم إلى الإيمان، بضرورة المشاهدة، وذلك بأن يفتح لهم باباً في السماء، ويعرج بهم إليهم، حتى يدخلوا منه نهاراً، وإلى ذلك أشار بقوله: ﴿فظلوا﴾ لأن الظلول إنما يكون نهاراً، لقالوا بعد هذا الإيضاح العظيم المكشوف: ﴿إنما سكرت ابصارنا﴾ وسحرنا محمد، وما هذه إلا خيالات لا حقائق تحتها، فأسجل عليهم بذلك أنهم لا عنز لهم في التكذيب من عدم سماع، ووعي، ووصول إلى القلوب، وفهم كما فهم غيرهم من المصنفين؛ لأن ذلك كله حاصل لهم، وإنما بهم العناد، واللدد، والإصرار لا غير، والله أعلم.

الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل. وهو غير مطبوخ، وإذا طبخ فهو فخار، قالوا: إذا توهمت في صوته مدأ فهو صليل، وإن توهمت فيه ترجعياً فهو صلصلة، وقيل: هو تضعيف صل إذا أنتن، والحماء: الطين الأسود المتغير، والمسنون: المصور من سنة الوجه، وقيل: المصوب المفرغ أي: أفرغ صورة إنسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذابة في أمثلتها، وقيل: الممتن من سنتت الحجر على الحجر إذا حككته به فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون إلا منتناً ﴿من حما﴾ صفة لصلصال أي: خلقه من صلصال كائن من حما، وحق ﴿مسنون﴾ بمعنى: مصور أن يكون صفة لصلصال كأنه أفرغ الحماء فصور منها تمثال إنسان أجوف فيبس، حتى إذا نقر صلصل، ثم غيره بعد ذلك إلى جوهر آخر.

وَلَمَّا ذَكَرْنَا حَقَّتْهُ مِنْ قَوْلٍ مِنْ نَارِ السَّمُورِ (١٧).

﴿والجان﴾ للجن كآدم للناس، وقيل: هو إبليس، وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد: والجان بالهمز ﴿من نار السموم﴾ من نار الحر الشديد النافذ من المسام، قيل: هذه السموم جزء من سبعين جزءاً من سموم النار التي خلق الله منها الجان.

وَأَذَى قَالَ رَبِّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ (١٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُمْ سَجِدِينَ (١٩) فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أجمعين (٢٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّجِدِينَ (٢١).

﴿إذ قال ربك﴾ وانكر وقت قوله: ﴿سويته﴾ عدلت خلقته وأكملتها وهيأتها لنفخ الروح فيها، ومعنى ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ وأحييته وليس ثمة نفخ ولا منفوخ، وإنما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه. واستثنى إبليس من الملائكة؛ لأنه كان بينهم مأموراً معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة، ثم استثنى بعد التغلب كقولك: رأيتهم إلا هذا و ﴿إبى﴾ استئناف على تقدير قول قائل يقول: هلا سجد؟ فقيل: أبى ذلك واستكبر عنه، وقيل: معناه ولكن إبليس أبى.

قَالَ بِإِبْلِيسَ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّجِدِينَ (٢٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ (٢٣).

حرف الجر مع أن محذوف وتقديره ﴿ما لك﴾ في ﴿إلا﴾ تكون مع الساجدين، بمعنى أي غرض لك في إبانك السجود وأي داع لك إليه؟ اللام في ﴿لأسجد﴾ لتأكيد النفي ومعناه: لا يصح مني وينافي حالي ويستحيل أن أسجد لبشر.

يرزقهم وإياهم ويدخل فيه الأنعام والدواب وكل ما بتلك المثابة مما الله رازقه، وقد سبق إلى ظنهم أنهم هم الرازقون، ولا يجوز أن يكون مجروراً عطفاً على الضمير المجرور في لکم؛ لأنه لا يعطف على الضمير المجرور.

وَأَنْ يَنْ شَيْءٌ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢٤).

نكر الخزائن تمثيل والمعنى: وما من شيء ينتفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه والإنعام به، وما نعطيهِ إلا بمقدار معلوم نعلم أنه مصلح له، فضرب الخزائن مثلاً لاقتداره على كل مقدر.

وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحٍ مَحْزُونٍ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَالْتَمَيْتَكُمْ وَمَا أَنْشَرَكُمْ لَمْ يَحْزِنِينَ (٢٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَبَيْنَ أَلْوَانِ الرَّبِّونَ (٢٦).

﴿لواحي﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الريح لاقح إذا جاءت بخير من إنشاء سحب ماطر كما قيل: للتي لا تأتي بخير ربح عقيم، والثاني: أن اللواحي بمعنى الملاحح كما قال: ومختبب مما تطيح الطواحي

يريد المطاوح جمع مطيحة، وقرئ: وأرسلنا الريح على تأويل الجنس ﴿فاسقيناكموه﴾ فجعلنا لكم سقياً ﴿وما أنتم له بخازنين﴾ نفى عنهم ما أثبتته لنفسه في قوله: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه﴾<sup>(١)</sup> كأنه قال: نحن الخازنون للماء على معنى نحن القاسرون على خلقه في السماء وإنزاله منها وما أنتم عليه بقارين، دلالة على عظيم قدرته وإظهاراً لعجزهم ﴿ونحن الوارثون﴾ أي: الباقون بعد هلاك الخلق كله، وقيل للباقي: وارث استعارة من وارث الميت لأنه يبقى بعد فاته، ومنه قوله ﷺ في دعائه: واجعله الوارث مناه<sup>(٢)</sup>.

وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَكَبِّرِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَكَبِّرِينَ (٢٧) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِحَشْرِهِمْ إِنَّهُمُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٢٨).

﴿ولقد علمنا﴾ من استقدم ولادة وموتاً، ومن تأخر من الأولين والآخرين، أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد، أو من تقدم في الإسلام وسبق إلى الطاعة ومن تأخر، وقيل: المستقدمين في صفوف الجماعة والمستأخرين، وروي: أن امرأة حسناء كانت في المصليات خلف رسول الله ﷺ، فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر إليها وبعض يستأخر ليصبرها<sup>(٣)</sup> فنزلت ﴿هو يحشرهم﴾ أي: هو وحده القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع إفراط كثرتهم وتباعد أطراف عددهم ﴿إنه حكيم عليم﴾ باهر الحكمة وأوسع العلم، يفعل كل ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب، وقد أحاط علماً بكل شيء.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ (٢٩).

(3) رواه الترمذي في كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الحجر (الحديث رقم: 3122)، والنسائي في كتاب: الإمامة، باب المنفرد خلف الصف، (الحديث رقم: 870).

(1) سورة الحجر، الآية: 21.

(2) رواه الترمذي في كتاب: الدعوات، باب (80) (الحديث رقم: 3502)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (الحديث رقم: 404).

استثنى المخلصين؛ لأنه علم أن كيداه لا يعلم فيهم ولا يقبلون منه. أي **﴿هذا﴾** طريق حق **﴿علي﴾** أن أراعيه وهو أن لا يكون لك سلطان على عبادي إلا من اختار اتباعك منهم لغوايته، وقرئ: **﴿علي﴾**، وهو: من علو الشرف والفضل.

وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٦﴾ لَمَا سَمِعَهُ أُتْرَابٌ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿١٧﴾.

**﴿لموعدهم﴾** الضمير للغاوين، وقيل: أبواب النار أطبقها وأدراكها، فأعلاها للموحدين، والثاني لليهود، والثالث للنصارى، والرابع للصابئين والخامس للمجوس، والسادس للمشركين، والسابع للمنافقين. وعن ابن عباس رضي الله عنه: إن جهنم لمن ادعى الربوبية، ولظى لعبدية النار، والحطمة لعبدية الأصنام، وسقر لليهود، والسعير للنصارى، والجحيم للصابئين، والهاوية للموحدين. وقرئ: جزء بالتخفيف والتثقيب، وقرأ الزهري: جز بالتشديد كأنه حذف الهمزة وألقى حركتها على الزاي، كقولك: خب في خب، ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم: الرجل، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف.

إِنَّ الْأَشْيَاءَ فِي جَحَنَّمَ مُعْجِنَةٌ ﴿١٨﴾ أَذْخُلُوهَا بِسَلْمٍ ءَأَمِينٌ ﴿١٩﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٢٠﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا نَجْوَىٰ لِئَامٍ وَلَا هُمْ يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾.

المتقي على الإطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: اتقوا الكفر والفواحش، ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها **﴿ادخلوها﴾** على إرادة القول، وقرأ الحسن: ادخلوها **﴿بسلام﴾** سالمين أو مسلماً عليكم، تسلم عليكم الملائكة. الغل الحقد الكامن في القلب من أدخل في جوفه وتغلغل أي: إن كان لأحدهم في الدنيا غل على آخر، نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم، وعن علي رضي الله عنه: أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم، وعن الحرث الأعور: كنت جالساً عنده إذ جاء ابن طلحة فقال له علي: مرحباً بك يا ابن أخي أما والله إنني لأرجو أن أكون أنا وأبوك ممن قال الله تعالى: **﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾** فقال له قائل: كلا الله أعدل من أن يجمعك وطلحة في مكان واحد، فقال: فلنمن هذه الآية لا أم لك، وقيل معناه: طهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات في الجنة، ونزع منها كل غل، وألقى فيها التواد والتحاب **﴿وإخواناً﴾** نصب على الحال و **﴿على سرر متقابلين﴾** كذلك، وعن مجاهد: تدور بهم الأسرة حيثما داروا فيكونون في جميع أحوالهم متقابلين.

قَالَ مَا نُخْرِجُ مِنْهَا لَكُمْ رَجِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِكَّ يَوْمَ الْآزِينِ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِكَّ يَوْمَ يُعْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٢٥﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٢٦﴾.

**﴿رجيم﴾** شيطان من الذين يرحمون بالشهب، أو مطرود من رحمة الله؛ لأن من يطرد يرحم بالحجارة، ومعناه: ملعون؛ لأن اللعن هو الطرد من الرحمة والإبعاد منها. والضمير في منها راجع إلى الجنة، أو السماء، أو إلى جملة الملائكة. وضرب يوم الدين حداً للجنة إما لأنه غاية يضربها الناس في كلامهم كقوله: **﴿ما دامت السموات والأرض﴾** (١) في التأييد، وإما أن يراد أنك مذموم مدعو عليك باللعن في السموات والأرض إلى يوم الدين من غير أن يعذب، فإذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه. ويوم الدين، ويوم يبعثون، ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد، ولكن خولف بين العبارات سلوكاً بالكلام طريقة البلاغة. وقيل: إنما سأل الإنظار إلى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت؛ لأنه لا يموت يوم البعث أحد، فلم يجب إلى ذلك ونظر إلى آخر أيام التكليف.

قَالَ رَبِّ يَا أَقْرَبَنِي لِأَقْرَبَنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَأَقْرَبَنِي أَجْمَعِينَ ﴿٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٨﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٣٠﴾.

**﴿بما أغويتني﴾** الباء للقسام وما مصدرية وجواب القسم **﴿لازينن﴾** المعنى: أقسم بإغوائك إياي لازينن لهم، ومعنى إغوائه إياه: تسببه لغيره بأن أمره بالسجود لآدم عليه السلام فأغضى ذلك إلى غيره، وما الأمر بالسجود إلا حسس وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لأمر الله، ولكن إبليس اختار الإباء والاستكبار فهلك، والله تعالى بري: من غيره ومن إرادته والرضا به ونحو قوله: **﴿بما أغويتني لازينن﴾** **﴿لهم﴾** قوله: **﴿فبعزتكم لأغوينهم أجمعين﴾** (٢) في أنه إقسام إلا أن أحدهما: إقسام بصفته والثاني: إقسام بفعله، وقد فرق الفقهاء بينهما، ويجوز أن لا يكون قسماً بقدر قسم محنوف ويكون المعنى: بسبب تسببك لإغوائي أقسم لأفعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبب لإغوائهم بأن آزين لهم المعاصي، وأوسوس إليهم ما يكون سبب هلاكهم **﴿في الأرض﴾** في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى: **﴿أخذل إلى الأرض واتبع هواه﴾** (٣) وأراد أنني أقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الأكل من الشجرة وهو في السماء، فإنا علي التزيين لأولاده في الأرض أقدر، أو أراد لأجل مكان التزيين عندهم الأرض، ولأقنع تزييني فيها، أي لازيننها في أعينهم، ولأحدثهم بأن الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا إليها دونها، ونحوه: يجرح في عراقبها نصلي،

(3) سورة الاعراف، الآية: 176.

(1) سورة هود، الآيات: 107، 108.

(2) سورة ص، الآية: 82.

كقوله: ﴿لَا يَيْتَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (1) يعني: لم استنكر ذلك قنوطاً من رحمته ولكن استبعاداً له في العادة التي أجراها الله.

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِنَّا لَأُولُو لُبٍّ وَإِنَّا لَمُتَّحِرُونَ أَجْمِيعِينَ ﴿٥٩﴾.

فإن قُلْتُ: قوله تعالى: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ استثناء متصل أم منقطع؟ قُلْتُ: لا يخلو من أن يكون استثناء من قوم فيكون منقطعاً؛ لأن القوم موصوفون بالإجرام فاختلف لذلك الجنس، وإن يكون استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلاً كأنه قيل: إلى قوم قد أجرموا كلهم إلا آل لوط وحدهم كما قال: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (3).

فإن قُلْتُ: فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين؟ قُلْتُ: نعم وذلك أن آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الإرسال، وعلى أنهم أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا إلى آل لوط أصلاً، ومعنى إرسالهم إلى القوم المجرمين كإرسال الحجر أو السهم إلى المرمى في أنه في معنى التعذيب والإهلاك كأنه قيل: إنا أهلكنا قوماً مجرمين، ولكن آل لوط أنجيناهم، وأما في المتصل: فهم داخلون في حكم الإرسال، وعلى أن الملائكة أرسلوا إليهم جميعاً ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء، فلا يكون الإرسال مخلصاً بمعنى الإهلاك والتعذيب كما في الوجه الأول.

فإن قُلْتُ: فقوله: ﴿إِنَّا لَمُنْجُوهُمْ﴾ بم يتعلق على الوجهين قُلْتُ: إذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط؛ لأن المعنى لكن آل لوط منجون، وإذا اتصل كان كلاماً مستأنفاً، كأن إبراهيم عليه السلام قال لهم: فما حال آل لوط؟ فقالوا: إنا لمنجوهم.

إِلَّا أَمْرَانَهُ فَرَدَّآ إِنِّي لَوْنُ الْفَتَيَاتِ ﴿٦٠﴾.

فإن قُلْتُ: فقوله: ﴿إِلَّا أَمْرَانَهُ﴾ مم استثنى؟ وهل هو استثناء من استثناء؟ قُلْتُ: استثنى من الضمير المجرور في قوله: لمنجوهم، وليس من الاستثناء من الاستثناء في شيء؛ لأن الاستثناء من الاستثناء إنما يكون فيما اتحد الحكم فيه وأن يقال: أهلكناهم إلا آل لوط إلا امراته، كما اتحد الحكم في قول المطلق: أنت طالق ثلاثاً إلا اثنين إلا واحدة، وفي قول المقر لفلان: علي عشرة دراهم إلا ثلاثة إلا درهماً، فأما في الآية فقد اختلف الحكم؛ لأن آل لوط متعلق بإرسالنا أو بمجرمين، وإلا امراته قد تعلق بمنجوهم، فإني يكون

﴿يَمَّا يَبَآؤُا أَيُّ أَنَا الْعَفْرُ أَرْجِيءُ﴾ (٤١) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْمَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥١﴾ وَيُنَبِّئُهُمْ عَنْ صَيبٍ يُزِيمُهُ ﴿٥١﴾.

لما أتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي﴾ تقرير لما نكر وتمكياً له في النفوس. وعن ابن عباس رضي الله عنه: غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وعطف ﴿وَنَبِّئُهُمْ﴾ على ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي﴾ ليتخذوا ما أحل من العذاب بقوم لوط عبرة يعترفون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين، ويتحققوا عنده أن عذابه هو العذاب الأليم.

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْكَ فَقَالُوا سَلْنَا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَهْلُونَ ﴿٥٦﴾.

﴿سَلَامًا﴾ أي: نسلم عليك سلاماً، أو سلمت سلاماً ووجلون﴾ خائفون، وكان خوفه لامتناعهم من الأكل، وقيل: لأنهم دخلوا بغير إذن وبغير وقت. وقرأ الحسن: لا ترجل بضم التاء من أوجه يوجهه إذا أخافه، وقرئ: لا تاجل، ولا تواجل من واجله بمعنى: أوجهه.

قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ ﴿٥٧﴾ قَالَ أَشْرَأُ مَرْبِي عَلَيَّ أَنْ مَسَّى الْكَبْرَ مِنِّي بَشِيرُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا نَكْفُرُ بِنَبِيِّنَا ﴿٥٩﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٦٠﴾.

وقرئ: نبشرك بفتح النون والتخفيف ﴿إِنَّا نبشرك﴾ استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل، أرادوا أنك بمثابة الأمن المبشر فلا توجل. يعني ﴿لبشروموني﴾ مع مس الكبر بأن يولد لي، أي: أن الولادة أمر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر ﴿فبم تبشرون﴾ هي: ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كأنه قال: فبأي عجيبة تبشرونني! أو أراد أنك تبشرونني بما هو غير متصور في العادة فبأي شيء تبشرون يعني: لا تبشرونني في الحقيقة بشيء؛ لأن البشارة يمثل هذا بشارة بغير شيء، ويجوز أن لا يكون صلة لبشر، ويكون سؤالاً عن الوجه والطريقة يعني: بأي طريقة تبشرونني بالولد والبشارة به لا طريقة لها في العادة.

وقوله: ﴿بشركنا بالحق﴾ يحتمل أن تكون الباء فيه صلة أي: بشركنا باليقين الذي لا لبس فيه، أو بشركنا بطريقة هي حق وهو: قول الله، ووعده، وأنه قاصر على أن يوجد ولداً من غير أبوين، فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر؟ وقرئ: تبشرون بفتح النون وبكسرهما على حذف نون الجمع، والأصل تبشرون وتبشرون بإدغام نون الجمع في نون العماد. وقرئ: من القنطين من قنط يقنط. وقرئ: ومن يقنط بالحركات الثلاث في النون، أراد: ومن يقنط من رحمة ربه إلا المخطون طريق الصواب، أو إلا الكافرون

(1) سورة يوسف، الآية: 87.

(2) قال أحمد: وجعله الأول منقطعاً أولى وأمكن، وذلك أن في استثناءهم من الضمير العائد على قوم منكربين بعداً، من حيث أن موقع الاستثناء إخراج ما لولاه، لئلا المستثنى في حكم الأول، وهذا الخول متعذر من التنكير، ولذلك قلما تجد النكرة يستثنى =

= منها، إلا في سياق نفي؛ لأنها حينئذ أعم، فيتحقق الخول لولا الاستثناء، ومن ثم لم يحسن رأيت قوماً إلا زياداً، وحسن ما رأيت أحد إلا زياداً، والله أعلم.

(3) سورة الذاريات، الآية: 36.

استثناء من استثناء؛ وقرئ: لمنجوم بالتخفيف والتثقل.

فإن قُلْتُ<sup>(1)</sup>: لمَ جاز تعليق فعل التقدير في قوله: ﴿قَدَرْنَا إِنْهَا لَمَنْ الْغَابِرِينَ﴾ والتعليق من خصائص أفعال القلوب؟ قُلْتُ: لتضمن فعل التقدير معنى العلم، ولذلك فسر العلماء تقدير الله أعمال العباد بالعلم.

فإن قُلْتُ: فلم أسند الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده إلى أنفسهم ولم يقولوا قَدَرَ اللهُ؟ قُلْتُ: لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لأحد غيرهم، كما يقول خاصة الملك: دبرنا كذا وأمرنا بكذا، والمدير والأمر هو الملك لا هم، وإنما يظهرون بذلك اختصاصهم، وأنهم لا يتميزون عنه، وقرئ: قدرنا بالتخفيف.

لَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿١١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قومٌ مُّكْرُونَ ﴿١٢﴾ قَالُوا بَرِّ جَنَّتِكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿١٣﴾.

﴿مكرون﴾ أي: تنكركم نفسي وتنفر منكم، فأخاف أن تطرقوني بشر بليل قوله: ﴿بل جنتك بما كانوا فيه يمترون﴾ أي: ما جنتك بما تنكرنا لأجله بل جنتك بما فيه فرك وسرور وتشفيك من عدوك، وهو: العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك.

وَأَبْنَاكَ بِالْحَيِّ وَإِنَّا لَمَصِدُونَ ﴿١٤﴾ فَأَسِرْ بِأَعْلِكَ يَقِطْعُ بِنَ الْبَلِّ وَأَنْتَجِ أَدْبَرَهُمْ وَلَا يَلْبُوتُ سِنَكَ أَحَدٌ وَأَمْضُوا حَيْثُ تَوَمَّرُونَ ﴿١٥﴾ وَصَبَّأً وَإِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرُ أَنْ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿١٦﴾.

﴿بالحق﴾ باليقين من عذابهم ﴿وإننا لصادقون﴾ في الإحبار بنزوله بهم. وقرئ: فاسر بقطع الهمزة وصلها من أسرى وسرى، وروي صاحب الإقليد: فسر من السير، والقطع في آخر الليل قال:

افتح الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم وتيل: هو بعدما يمضي شيء صالح من الليل.

فإن قُلْتُ: ما معنى أمره باتباع أدبارهم<sup>(2)</sup> ونهيمهم عن الالتفات؟ قُلْتُ: قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه وأهله إجابة لدعوته عليهم، وخرج مهاجرًا فلم يكن له بدٌ من

الاجتهاد في شكر الله وإدامة نكره وتفرغ به لذلك، فأمر بأن يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه، وليكون مطلعًا عليهم وعلى أحوالهم، فلا تفرط منهم التفاتة احتشامًا منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحال المهولة المحنورة، ولئلا يتخلف منهم أحد لغرض له فيصيبه العذاب، وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم سر به ويفوت به<sup>(3)</sup>، ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم، وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة، ويطيبوها عن مساكنهم، ويمضوا قدمًا غير ملتفتين إلى ما وراءهم كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي إليه أخاعه كما قال:

تلفت نحو الحي حتى وجنتني رجعت من الإصغاء لبيتًا وأخدعا

أو جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف؛ لأن من يلفت لا بد له في ذلك من أدنى وقفة ﴿حيث تؤمرون﴾ قيل: هو مصر، وعدي، وأمضوا إلى حيث، تعديته إلى الظرف المبهم؛ لأن حيث مبهم في الأمكنة، وكذلك الضمير في تؤمرون وعدي قضينا بالي؛ لأنه ضمن معنى أرحينا كأنه قيل: وأوحينا إليه مقضيًا مبتوتًا وفسر ﴿نلك الأمر﴾ بقوله: ﴿إن دابر هؤلاء مقطوع﴾ وفي إبهامه وتفسيره تفخيم للأمر وتعظيم له، وقرأ الأعمش: إن بالكسر على الاستئناف كان قائلًا قال: أخبرنا عن نلك الأمر؛ فقال: إن دابر هؤلاء، وفي قراءة ابن مسعود: وقلنا إن دابر هؤلاء ودابره أخرجهم يعني: يستاصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد.

وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ صِيبِي فَلَا تَنْصَحُونِ ﴿١٨﴾ وَأَقْرَأُوا أَنَّهُ وَلَا تَحْزُونِ ﴿١٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَسْهَلْكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ نَعْلَمِينَ ﴿٢١﴾.

﴿أهل المدينة﴾ أهل سدوم التي ضرب بقاضياها المثل في الجور مستبشرين بالملائكة ﴿لا تفصحون﴾ بفضيحة ضيفي؛ لأن من أسيء إلى ضيفه أو جاره فقد أسيء إليه، كما أن من أكرم من يتصل به فقد أكرم ﴿ولا تحزون﴾ ولا تذلون بإذلال ضيفي من الخزي وهو: الهوان، أو ولا

= غير محكى عن الملائكة، وهو الظاهر، فإن الذي يجعله من قول الملائكة، يحتاج في نسبتهم التقدير إلى أنفسهم إلى تأويل، ويجعله من باب قول خواص الملك دبرنا كذا، وإنما يعنون دبر الملك وأمر وبذلك أوله الرمزخشري، وإن كان أصله لا يحتاج معه إلى التأويل؛ لأنه إذا جعل ﴿قَدَرْنَا﴾ بمعنى علمنا ﴿إنها لمن الغابرين﴾ فلا غرور في علم الملائكة، والله أعلم.

(2) قال أحمد: ولبعض هذه المقاصد عاتب الله تعالى نبيه موسى عليه السلام، حيث تقمّم قومه، فقال: ﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى﴾ والله أعلم.

(3) قال أحمد: ولقد شملت هذه الآية على وجازتها، آداب المسافرين لمهم ديني أو دنيوي من الأمر والمأمور، والتابع والمتبوع، ما فرطنا في الكتاب من شيء.

(1) قال أحمد: وهذه أيضاً من دوائنه الاعتزالية في جحد القضاء والقدر، واعتقاد أن الأمر أنف؛ لأنهم لا يعتقدون أن الله تعالى مرید لأكثر أفعال عبده، من معصية ومباح ونحوهما، ولا مقتر لها على العبيد بمعنى أنه مرید، ولكنه عالم بما سيقولونه على خلاف مشيئته وإرادته، فالتقدير عندهم هو العلم لا الإرادة، ثم استدل على أن التقدير هو العلم، بتعليق فعله على العلم، وذلك من خواص فعل العلم وأخواته، فانظر إلى بعد غوره، وبقه فطنته في ابتغاء السنة يلقفها ويعاند بها البراهين الواضح فلقها، وفي كلامه شاهد على رده، فإن التقدير عنده مضمن معنى العلم، ومن شأن الفعل المضمن معنى آخر، أن يبقى على معناه الأصلي مضافاً إليه المعنى الطارئ، فيفيدها جميعاً، فالتقدير إذاً كما أقاد العلم الطارئ، يفيد الإرادة أصلاً ووضعا، والله أعلم على أن من الناس من جعل قوله تعالى: ﴿قَدَرْنَا أَنهَا لَمَنْ الْغَابِرِينَ﴾ من كلامه تعالى =

وَإِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَاعْلَمُوا أَنَّهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ ﴿٧٨﴾ فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِغَامٍ مِّنِّي ﴿٧٩﴾.

﴿أصحاب الأيكة﴾ قوم شعيب ﴿وإنهما﴾ يعني: قرى قوم لوط والأيكة، وقيل: الضمير للأيكة، ومدين؛ لأن شعيباً كان مبعوثاً إليهما، فلما نكر الأيكة دل بنكرها على مدين فجاء بضميرهما ﴿لبغام ميين﴾ لبطريق واضح، والإمام اسم لما يؤتم به فسمي به الطريق، ومطمر البناء، واللوح الذي يكتب فيه؛ لأنها مما يؤتم به.

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَحَدٌ مِّنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَأَتَيْنَاهُم مَّيْمَنًا فَكَانُوا عَنْهَا مُمِرِّضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَحْتَوُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَوْمًا سَائِرِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذْتُم مِّنْهُمْ أَصْحَابًا مُّشْرِكِينَ ﴿٨٣﴾ فَأَغْرَيْنَا فِئْتَمًا مِّمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾.

﴿أصحاب الحجر﴾ ثمود والحجر وابيهم، وهو بين المدينة والشام ﴿المرسلين﴾ يعني: بتكذيبهم صالحاً؛ لأن من كتب واحداً منهم فكانت كتبهم جميعاً، أو أراد صالحاً ومن معه من المؤمنين كما قيل: الخببيون في ابن الزبير وأصحابه، وعن جابر: مررنا مع النبي ﷺ على الحجر فقال لنا: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذراً أن يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء، ثم زجر النبي ﷺ راحلته فأسرع حتى خلفها»<sup>(4)</sup>. ﴿أمنين﴾ لوثاقه البيوت واستحكامها من أن تنهدم ويتداعى بنيانها، ومن نقب اللصوص، ومن الأعداء، وحوادث الدهر، أو أمنين من عذاب الله يحسبون أن الجبال تحميمهم منه ﴿ما كانوا يكسبون﴾ من بناء البيوت الوثيقة والأموال والعدد.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْتَعْ الْمَتَّعَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾.

﴿إلا بالحق﴾ إلا خلقاً ملتبساً بالحق والحكمة لا باطلاً وعبثاً، أو بسبب العدل والإنصاف يوم الجزاء على الأعمال ﴿وإن الساعة آتية﴾ وإن الله ينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك وإياهم على حسناتك وسيئاتهم، فإنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا لذلك ﴿فاصفح﴾ فأعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم إعراضاً جميلاً بحلم وإغضاء، وقيل: هو منسوخ بأية السيف، ويجوز أن يراد به المخالفة فلا يكون منسوخاً.

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾.

﴿إن ربك هو الخلاق﴾ الذي خلقك وخلقهم وهو ﴿العليم﴾ بحالك وحالهم، فلا يخفى عليه ما يجري بينكم، وهو يحكم بينكم، أو إن ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الأصلح لكم، وقد علم أن الصبح اليوم أصلح إلى أن يكون السيف أصلح، وفي مصحف أبي، وعثمان: إن ربك هو

تشوروا بي من الخزاية وهي الحياء ﴿عن العالمين﴾ عن أن تجير منهم أحداً أو تدفع عنهم أو تمنع بيننا وبينهم، فإنهم كانوا يتعرّضون لكل أحد، وكان يقوم ﷺ بالنهي عن المنكر، والحجر بينهم وبين المتعرّض له فأوعوه وقالوا: ﴿لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين﴾<sup>(1)</sup> وقيل: عن ضيافة الناس وإنزالهم، وكانوا نهوه أن يضيف أحداً قط ﴿هؤلاء بناتي﴾ إشارة إلى النساء؛ لأن كل أمة أولاد نبيها رجالهم بنوه ونسأؤهم بناته فكانه قال لهم: هؤلاء بناتي فانكحوهن واخلو ابني فلا تتعرّضوا لهم ﴿إن كنتم فاعلين﴾ شك في قبولهم لقوله كأنه قال: إن فعلتم ما أقول لكم وما أظنكم تفعلون، وقيل: إن كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم.

لَمَتَّكُ إِلَيْهِمْ لِي سَكْرَتِهِمْ يَمَهُونَ ﴿٧٦﴾.

﴿لعمرك﴾ على إرادة القول أي: قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك ﴿إنهم لفي سكرتهم﴾ أي: غوايتهم التي أنهبت عقولهم، وتمييزهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين إلى البنات ﴿يعمّهون﴾ يتحIRON، فكيف يقبلون قولك ويصفون إلى نصيحتك، وقيل: الخطاب لرسول الله ﷺ وأنه أقسم بحياته وما أقسم بحياة أحد قط كرامة له، والعمر والعمر واحد إلا أنهم خصوا القسم بالمفتوح لإيثار الأخف فيه، وذلك لأن الحلف كثير الدور على الاستنهم ولذلك حذفوا الخبر، وتقديره لعمرك مما أقسم به، كما حذفوا الفعل في قولك: بالله، وقرئ: في سكرهم وفي سكراتهم.

فَأَخَذْتُم مِّنْهُمْ أَصْحَابًا مُّشْرِكِينَ ﴿٧٣﴾ فَمَجَّلْنَا عَلَيْهِمَا صَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَكِّلِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَإِسْبِيلٌ مُّقِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمُتَوَكِّلِينَ ﴿٧٧﴾.

﴿الصيحة﴾ صيحة جبريل عليه السلام ﴿مشرقين﴾ داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس ﴿من سجيل﴾ قيل: من طين عليه كتاب من السجل ولبليه قوله تعالى: ﴿حجارة من طين \* مسومة عند ربك﴾<sup>(2)</sup> أي: معلمة بكتاب ﴿للمتوسمين﴾ للمتفرسين المتأملين، وحقيقة المتوسمين النظائر المتشبهون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء يقال: توسمت في فلان كذا أي: عرفت وسمه فيه. والضمير في ﴿عليها صافلها﴾ لقرى قوم لوط ﴿وإنها﴾ وإن هذه القرى يعني: آثارها ﴿لبسبيل مقيم﴾ ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعوهم يصرون تلك الآثار، وهو تنبيه لقريش كقوله: ﴿وإنكم لتمزون عليهم مصبحين﴾<sup>(3)</sup>.

(4) رواه البخاري في كتاب: المغازي، باب: نزول النبي ﷺ الحجر

(الحديث رقم: 4419).

(1) سورة الشعراء، الآية: 167.

(2) سورة الذاريات، الآيتان: 33 - 34.

(3) سورة الصافات، الآية: 137.

أوتي فقد صغر عظيمًا وعظم صغيرًا<sup>(4)</sup>. وقيل: وافقت من بصرى وأذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير، فيها أنواع البن والطيب والجوهر وسائر الأمتعة، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها، ولانفقناها في سبيل الله، فقال لهم الله عز وعلا: لقد أعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ﴿ولا تحزن عليهم﴾ أي: لا تتمن أموالهم ولا تحزن عليهم إنهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الإسلام وينتفع بهم المؤمنون. وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم، وطب نفسًا عن إيمان الأغنياء والأقوياء.

وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْأَمِيرُ ﴿٨١﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُتْمِينِ ﴿٨٢﴾  
الَّذِينَ جَاءُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٨٣﴾.

﴿وقل﴾ لهم ﴿إني أنا النذير المبين﴾ أنذركم ببيان وبرهان: أن عذاب الله نازل بكم.

فإن قُلْتُ: بم تعلق قوله: ﴿كما أنزلنا﴾؟ قُلْتُ: فيه وجهان: أحدهما: إن يتعلق بقوله: ﴿ولقد آتيناك﴾<sup>(5)</sup> أي: أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب وهم المقتسمون ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ حيث قالوا بعنادهم وعوانتهم: بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل، وبعضه باطل مخالف لهما، فاققسموه إلى حق وباطل وعضوه. وقيل: كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم: سورة البقرة لي، ويقول الآخر: سورة آل عمران لي، ويجوز أن يراد بالقرآن ما يقرؤنه من كتبهم، وقد اقتسموه بتحريفهم، وبأن اليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض، والنصارى أقرت ببعض الإنجيل وكذبت ببعض، وهذه تسلية لرسول الله ﷺ عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم: سحر وشعر وأساطير بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثاني: أن يتعلق بقوله: ﴿وقل إني أنا النذير المبين﴾ أي: وأنذر قريشًا مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود وهو: ما جرى على قريظة والنضير، جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو: من الإعجاز؛ لأنه إخبار بما سيكون وقد كان، ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبًا بالندير أي: أندر المعضين الذين يجزؤون القرآن إلى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم: الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم، ففقدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الإيمان برسول الله ﷺ،

الخالق، وهو يصلح للقليل والكثير، والخالق للكثير لا غير، كقولك: قطع الثياب وقطع الثوب والثياب.

وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ النَّبَاتِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾.

﴿سبعًا﴾ سبع آيات وهي: الفاتحة، أو سبع سور وهي: الطوال، واختلفت في السابعة فقيل: الانفال وبراءة؛ لأنهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بآية التسمية، وقيل: سورة يونس، وقيل: هي: آل حم، أو سبع صحائف وهي: الأسباع و﴿المثاني﴾ من التثنية وهي التكرير؛ لأن الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلاة وغيرها، أو من الثناء لاشتمالها أعلى ما هو ثناء على الله الواحدة مثناة أو مثنية صفة للآية، وأما السور أو الأسباع: فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك، ولما فيها من الثناء كأنها تثني على الله تعالى بأفعاله العظمى، وصفاته الحسنى، و﴿من﴾ إمَّا: للبيان، أو للتبعيض: إذا أردت بالسبع الفاتحة أو الطوال، وللبيان: إذا أردت الأسباع، ويجوز أن يكون كتب الله كلها مثنائي لأنها تثني عليه، ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القرآن بعضها.

فإن قُلْتُ: كيف صحَّ عطف ﴿القرآن العظيم﴾ على السبع، وهل هو إلا عطف الشيء على نفسه؟ قُلْتُ: إذا عني بالسبع الفاتحة أو الطوال فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن؛ لأنه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل إلا ترى إلى قوله: ﴿بما أوحينا إليك هذا القرآن﴾<sup>(1)</sup> يعني: سورة يوسف، وإذا عنت الأسباع فالمعنى: ولقد آتيناك ما يقال له: السبع المثاني، والقرآن العظيم، أي: الجامع لهذين العنيتين وهو: الثناء، أو التثنية، والعظم. أي: لا تطمح ببصرك طموحًا راغب فيه متمن له.

لَا تَدْعُ عِبَادَكَ إِلًا مَا مَنَّآ بِهِمْ أَوْ لَجَأَ بِنَهْمٍ وَلَا تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ  
وَكَفَيْضَ جَنَاحِكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾.

﴿إلى ما متعنا به أزلجًا منهم﴾ أصنافًا من الكفار.

فإن قُلْتُ<sup>(2)</sup>: كيف وصل هذا بما قبله؟ قُلْتُ: يقول لرسوله ﷺ قد أوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وإن عظمت فهي إليها حقيرة ضئيلة وهي: القرآن العظيم، فعليك أن تستغني به، ولا تمدن عينيك إلى متاع الدنيا، ومنه الحديث: هليس منا من لم يتغن بالقرآن<sup>(3)</sup>. وحديث أبي بكر: من أوتي القرآن فرأى أن أحدًا أوتي من الدنيا أفضل مما

(1) سورة يوسف، الآية: 3.

(2) قال أحمد: وهذا هو الصواب في معنى الحديث، وقد حمه كثير من العلماء على الغناء، وادعى هؤلاء أن تغني إنما يبنى من الغناء المعمود، لا من الغنى المقصور، وإن فعله استغنى خاصة، وقد رجحت بناء تغني من الغنى المقصور في الحديث الصحيح في خيل، وأما التي هي ستر، فرجل ربطها تغنيًا وتمغنيًا، وإنما هذا من الغنى المقصور قطعًا واتفاقًا، وهو مصدر تغني، فدل على ذلك على أنه مستعمل من البنامين جميعًا، على خلاف دعوى المخالف، =

= والله الموفق.

(3) رواه البخاري في كتاب: «التوحيد» باب: قول الله تعالى: «واسروات قولكم» (الحديث رقم: 7527).

(4) قال الزيلعي: غريب من حديث أبي بكر، ورواه إسحاق بن راهويه عن عبد الله بن عمرو بن العاص وأبن عدي في الكامل عن ابن مسعود 2/ 218.

(5) سورة الحجر، الآية: 87.

يقول بعضهم: لا تغتروا بالخارج منا فإنه ساحر، ويقول الآخر: كذاب، والآخر: شاعر، فاهلكهم الله يوم بدر، وقبله بأفات كالوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، وغيرهم، أو مثل ما أنزلنا إلى الرهط الذين تقاسموا على أن يبيئوا صالحًا عليه السلام، والاققسام بمعنى: التقاسم.

فإن قلت: إذا علق قولك: ﴿كما أنزلنا﴾ بقوله: ﴿ولقد أتيناك﴾ (1) فما معنى توسط ﴿لا تمدن﴾ (2) إلى آخره بينهما؟ قلت: لما كان ذلك تسلية لرسول الله ﷺ عن تكذيبهم وعدوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية، من النهي عن الالتفات إلى دنياهم والتأسف على كفرهم، ومن الأمر بان يقبل بجماعه على المؤمنين، عضين: أجزاء جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة إذا جعلها أعضاء. قال رؤبة:

وليس بين الله بالمعضى

وقيل: هي فعلة من غضهته إذا بهته، وعن عكرمة: العضة السحر بلغة قريش يقولون للساحر: عاضه، ولعن النبي ﷺ: «العاضه والمستعضه» (3) نقصانها عن الأول واو وعلى الثاني هاء.

فَوَرِيكَ أَتَمَّعْتَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٧﴾ عَا كَانُوا يَمَلُونَ ﴿١٦﴾.

﴿لنستلثمهم﴾ عبارة عن الوعيد، وقيل: يسألهم سؤال تقيع، وعن أبي العالية: يسأل العباد عن خلتين، عما كانوا يعبدون، وماذا أجابوا المرسلين.

فَأَسْعَىٰ بِمَا تُوْمَرُ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾.

﴿فأصعد بما تؤمر﴾ فاجهر به وأظهره، يقال: صعد بالحنة إذا تكلم بها جهارًا كقولك: صرح بها من الصديع وهو: الفجر، والصدع في الزجاجاة الإبانة، وقيل: فأصعد فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر والمعنى: بما تؤمر به من الشرائع فحنف الجار كقوله:

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به

ويجوز أن تكون ما مصدرية أي: بأمرك مصدر من الميني للمفعول.

إِنَّا كُنِينَاكَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَجْمَلُونَ مَعَ اللَّهِ لَهَا مَآخِرٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾.

عن عروة بن الزبير في المستهزئين: هم خمسة نفر نوو أسنان، وشرف الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب، والحرث بن الطلائعة. وعن ابن عباس رضي الله عنه: ماتوا كلهم قبل

بدر، قال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ: أمرت أن أكفيكمهم، فأومأ إلى ساق الوليد فمرّ بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظمًا لأخذه، فأصاب عرقًا في عقبه فقطعه فمات، وأومأ إلى أخص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال: لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات، وأشار إلى عيني الأسود بن المطلب فعمي، وأشار إلى أنف الحرث بن قيس فامتخط قيقًا فمات، وإلى الأسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات (4).

وَلَقَدْ سَأَلْنَاكَ بِصِبْغٍ مَّذْرُوكٍ بِمَا يَقُولُونَ ﴿١٧﴾ فَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾.

﴿بما يقولون﴾ من أقاويل الطاعنين فيك وفي القرآن ﴿فسبح﴾ فافزع فيما نابك إلى الله، والفرع إلى الله هو: الذكر الدائم وكثرة السجود، يكفك ويكشف عنك الغم. ودم على عبادة ربك ﴿حتى ياتيك اليقين﴾ أي: الموت أي: ما دمت حيًّا فلا تخل بالعبادة، وعن النبي ﷺ أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة (5).

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الحجر كان له من الأجر عشر حسنات، بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمد ﷺ» (6).

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### سورة النحل مكية

أَنَّهُ أَمْرٌ أَلَّهُ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾.

كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة أو نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبًا بالوعد فقيل لهم: ﴿أتى أمر الله﴾ الذي هو بمنزلة الآتي الواقع وإن كان منتظرًا لقرب وقوعه ﴿فلا تستعجلوه﴾ روي: أنه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم: إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت، فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن. فلما تأخرت قالوا: ما نرى شيئًا. فنزلت: ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ (7) فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد ما نرى شيئًا مما تخوفنا به. فنزلت: ﴿أتى أمر الله﴾ فوثب رسول الله ﷺ، ورفع الناس رؤوسهم، فنزلت: ﴿فلا تستعجلوه﴾ فاطمأنوا، وقرئ: تستعجلوه بالباء ﴿سبحانه وتعالى عما

(5) رواه أبو داود في كتاب: الصلاة، باب: «وقت قيام النبي ﷺ من الليل» (الحديث رقم: 1319).

(6) نكره الثعلبي والواحدي في تفسيره وابن مردويه الزيلعي 2/221.

(7) سورة الانبياء، الآية: 1.

(1) سورة الحجر، الآية: 87.

(2) سورة الحجر، الآية: 88.

(3) رواه عبد الرزاق في مصنفه 3/141 (الحديث رقم: 5090).

(4) رواه الطبراني في معجمه.